

لها في الحسن حظ كامل فانك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والاعجم فصيحاً
والاجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جليلة . واذا نظرت في أمر المقاييس
وجدتها ولا ناصر لها اعز منها ولا رونق لها ما لم تنزهها وتجده التشبيهات على الجملة
غير معجبة ما لم تكنها ، ان شئت ارتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل
كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وان شئت لطف الاوصاف الجسمانية حتى
تعود روحانية لا تنالها الا الظنون ^(١)

وقد أوضح هذه الخصائص بالامثلة الكثيرة وتحليلها والوقوف على مواطن
الجمال فيها فأصبحت الاستعارة صوراً ناطقة .

وبلاغة الاستعارة لا تكون في المثبت وانما في الاثبات ففي قول الشاعر :
فأسبلت للؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد
قال : « اذا نظرت الى قوله فرأيت أنه قد أفادك ان الدمع كان لا يحرم من شبه
اللؤلؤ والعين من شبه النرجس شيئاً ، فلا تحسبن ان سبب الحسن الذي تراه
والاريجية التي تجدها عنده انه افادك ذلك فحسب ، وذاك انك تستطيع ان تجيء
به صريحاً فتقول : فأسبلت دمعا كأنه اللؤلؤ بعينه من عين كأنها النرجس حقيقة
ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً ، ولكن اعلم ان سبب ان راقك وأدخل الاريجية
عليك انه أفادك في اثبات شدة الشبه مزية وأوجدك فيه خاصية قد غرز في طبع
الانسان ان يرتاح لها ويجد في نفسه هزة عندها . وهكذا حكم نظائره كقول
ابي نواس :

تبكي فتدري الدر عن نرجس وتلطم الورد بعناب
وقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنّت غزالا ^(٢)

(١) اسرار البلاغة ص ٤١ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٤٥ .